

توضيح هام للقارئ :

قراءة تاريخ الكنيسة بدايةً من سفر الأعمال ونهايةً بما يحدث حولنا الآن من أحداث نراها ونسمعها - ليست هي قراءة للمعرفة ولا هي وسيلة للتعرف على فكر الكنيسة الماضي ولا هي أيضاً محاولة لفهم كيف تدبر الكنيسة الحالية أمرها لتسير في بحر هذا العالم ، بل هي بكل معنى وفهم محاولة بسيطة للتعرف (حسبما يستطيع فكرنا أن يعرف) كيف يعمل روح الله القدوس في هذه الكرمة الصغيرة التي زرعها الابن الوحيد خلال سنوات تجسده على أرضنا. فالوصية الأخيرة التي أعطهاها الرب يسوع لتلاميذه كانت هي " لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالي " أعمال ١ : ٨ كانت هذه القوة هي قوة الروح القدس التي عملت في الماضي وتعمل حتى يومنا هذا وستظل تعمل في الكنيسة حتى مجئ الابن الوحيد مرة أخرى ليستلم هذه الكرمة المثمرة مرة أخرى.

" مبارك شعبي مصر " : مثل حبة خردل زُرعت في أرض جيدة و صارت شجرة تأتي طيور السماء و تتأوى في أغصانها أيضاً بدأ تاريخ المسيحية في مصر بحبة خردل صغيرة رُويت بدماء شهيد فصارت شجرة عظيمة. حبة الخردل هي إيمان الشاب "ودامون" التي رويت بدمائه في حادثة إستشهاده في مدينة أرمنت (شمال محافظة الأقصر) آمن القديس " ودامون" بالطفل يسوع عندما تقابل معهم حين كانت العائلة المقدسة قرب مدينة الأشمونين ولما عاد إلي بلده أرمنت عرف أهل المدينة بإيمانه الجديد فسارعوا بقتله بالسيوف قبل أن ينتشر هذا الإيمان الجديد و بذلك يكون القديس ودامون هو أول قبطي و أيضاً أول شهيد في مصر.

و ذكر لنا الكتاب المقدس في سفر الأعمال أن بعض من الحاضرين في يوم الخمسين (عيد حلول الروح القدس) كانوا من مصر و نواحي لبيبة التي نحو القبروان ( أعمال الرسل ٢ : ١٠) و للأسف لم يسجل لنا التاريخ ماذا فعل هؤلاء حين عادوا إلى مصر.

و بعد هذا التاريخ بحوالي ٢٥ سنة جاء القديس مرقس حاملاً الكرازة بالمسيحية حوالي عام ٦٠ أو ٦١ - دخل القديس مرقس الإسكندرية من الجهة الغربية قادماً من الخمس مدن الغربية ، وفي جولانه في مدينة الإسكندرية وجد فيها جالية يهودية قوية و أيضاً كانت الوثنية تملأ المدينة. وكانت شرارة الإنطلاق حين آمن إنيانوس و أهل بيته بعد معجزة شفاء أجراها الرب علي يد القديس مارمرقس و حينئذ بدأت الكرازة من بيت إنيانوس لليهود و الوثنيين معاً. و طاف القديس مارمرقس مصر جاعلاً الإسكندرية مركزاً للكرازة.

و حسب روايات التاريخ أن القديس مارمرقس قضى حوالي الخمس سنوات في مصر حتي رحل عنها سنة ٦٦ ميلادية ليأتي مرة أخرى في أواخر سنة ٦٧ أو أوائل سنة ٦٨ م . و في هذه الخمس سنوات أسس القديس مارمرقس أربعة أركان هامة لأي كنيسة رسولية وهم إنجيل مارمرقس و قداس أو ليتورجية مارمرقس ليصلي المؤمنين بها (نُفحت و نُظمت هذه الليتورجية فيما بعد علي يد القديس كيرلس) و أيضاً وضع اليد الكهنوتية علي أسقف (الباپا إنيانوس فيما بعد) و ٣ كهنة و ٧ شمامسة للخدمة و أخيراً وضع نواة صغيرة لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية.

فكتب لكنيسة الإسكندرية إنجيل مارمرقس كوثيقة تاريخية هامة تحكي قصة حياة و معجزات السيد المسيح جاعلاً منه مصدر للكرازة خاصة للرومان الوثنيين (لذلك تجد الإنجيل سريع الإيقاع) مقدماً السيد المسيح كملك قوي صاحب معجزات و له القدرة القوية في السيطرة علي البحر و الطبيعة و القدرة علي إخراج الشياطين و شفاء الأمراض و أيضاً قوة تأثير تعاليمه علي اليهود و أخيراً قوة السيد المسيح علي القيامة من الموت الذي يقهر البشرية جميعها.

و كما بدأ السيد المسيح الكرازة بإختيار ١٢ تلميذاً و ٧٠ آخرين كان القديس مارمرقس أحدهم أيضاً قام القديس مارمرقس بوضع اليد الرسولية الكهنوتية علي إنيانوس كأسقف و ثلاث كهنة و سبعة شمامسة و بذلك تكون كنيسة الإسكندرية كنيسة رسولية بدأ التسلسل الكهنوتي فيها من القديس مارمرقس أخذاً كهنوته من السيد المسيح ذاته و نشكر الله أن هذا التسلسل الكهنوتي ظل بلا إنقطاع طوال عشرين قرناً من الزمان حتي عصرنا الحالي.

و أيضاً وضع القديس مارمرقس الليتورجية الخاصة به أو القداس الذي إشتهر فيما بعد بإسم القداس الكيرلسي ليكون بداية نظام للصلاة الجماعية و شركة الإفخارستيا ليكون بذلك الحضور القوي و الدائم للسيد المسيح داخل هذه الكنيسة. فقد عاشت كنيسة الإسكندرية قرون طوال علي هذا التراث الليتورجي الذي وضع نواته القديس مارمرقس.

حينما دخل القديس مارمرقس الإسكندرية وجد أنها تضم أكبر جامعة في ذلك الوقت و أدرك أنها أمتلأت بمدارسها الفلسفية الوثنية و أيضاً مكتبتها الضخمة و بجانبها إنتشرت أيضاً مدارس يهودية تنشر الثقافة اليهودية. فقام القديس مرقس بعمل رسولي عظيم فبدلاً من مقاومة هذه الجامعة و

الإصطدام بها وضع نواة صغيرة لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية لتخريج معلمين قادرين علي التعليم و الكرازة للجميع يهوداً و وثنيين. و إشتهرت مدرسة الإسكندرية فيما بعد بتخريج علماء و قديسين قاموا بحماية الأرثوذكسية من التعاليم المخالفة للإيمان الأرثوذكسي أذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر القديس البابا أثناسيوس واضع قانون الإيمان و العلامة ديسقورس و القديس ديديموس الضرير و القديس البابا كيرلس الكبير جميعهم حاربوا بدعاً و هرطقات كادت أن تفتي الأرثوذكسية لولا عمل الروح القدس في هؤلاء الآباء القديسين. و يقول الكسندر روبرت " صارت الإسكندرية أول كرسي للتعليم و صارت أيضاً عقل المسيحية في الوقت الذي كان فيه الغرب يبسط يديه و ساعديه للشرق طالباً إستنارة أعظم".

و بعد قضاء خمس سنوات في هذا المجهود العظيم رحل القديس مارمرقس من الإسكندرية ليعود إليها أيضاً في بداية سنة ٦٨ و أراد أن يقضي عيد القيامة مع أولاده في كنيسة بناها المؤمنون في " بوكاليا " و صادف أن يكون نفس اليوم هو عيد الإله سيرابيس . فهيج عدو كل خير هؤلاء الوثنيين على مؤمني الديانة الجديدة و لكراهمتم للقديس مرقس أخذوه و ربطوا رجله في حصان و أخذوا يطوفون به في شوارع الإسكندرية فسالت دماؤه عليها و فروت بذرة الإيمان التي وضعها و ظل المشهد هكذا حتى أسلم القديس مرقس روحه الطاهرة في يد الرب يسوع المسيح في ٣٠ برمودة سنة ٦٨ فأخذ المسيحيين جسده الطاهر و وضعوه في كنيسة بوكاليا التي حُفظ فيها الجسد حتى القرن التاسع حيث سرقه بحارة من البندقية و الجسد هناك حتى الآن. و حدث في القرن العشرين ببركة صلوات البابا كيرلس السادس عاد جزء صغير من جسد مارمرقس و هو حالياً أسفل الهيكل الرئيسي في الكاتدرائية المرقسية في القاهرة.